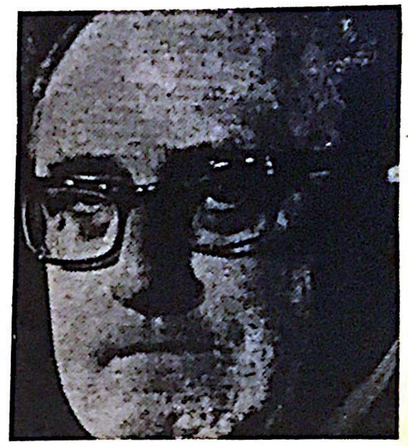

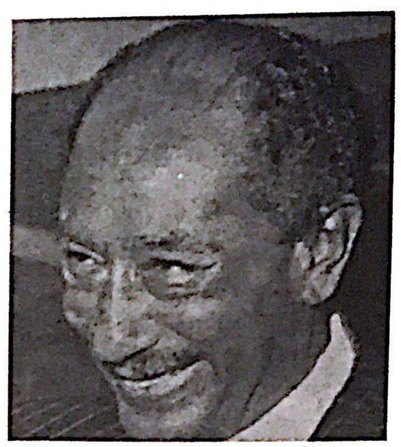

ماهي مواقف جميع اطراف التسوية من مهمة كيسنجر الحالية ؟

رصد لجميع التفاعلات والنشاطات والتعارضات التي حركتها جولة وزير الخارجية الاميركي الأخيرة

صحيح ان كيسنجر غادر المنطقة وعاد الى واشنطن مختتما جولته «الاستطلاعية» (!!) في عواصم الشرق الاوسط المعنية بالتسوية . لكن مشاعي الوزير الاميركي التي حملها في هذه الجولة لم تنته بعد .. فهي ما تزال تتفاعل عبر شبكة كثيفة من الاتصالات والنشاطات والتفاعلات التي تدور فيما بين جميع العواصم صاحبة العلاقة . وجميع هذه النشاطات تتركز حول مشروعي كيسنجر المترابطين اللذين حملهما الى المنطقة ، وهما : توسيع « فك الارتباط » على الجبهة المصرية ، واحداث « خرق » سعودي على جبهة النفط .

ومن الطبيعي ان يكون لهذين المشروعين حجما واسعا من التفاعلات على صعيد المنطقة برمتها .

فهل يمكن رصد هذه التفاعلات والقاء بعض الضوء على اتجاهاتها ؟

اولا : القاهرة .. ونزع الفتيل :

في ترحيبه بالمبادرة « الكيسنجرية » الجديدة اعلن الرئيس السادات ان الوضع في الشرق الاوسط متفجر وبالتالي فلا بد من عملية نزع فتيل لتهدئة الوضع قبل الذهاب الى جنيف . وحدد الرئيس المصري تلك العملية بانها انسحابات اسرائيلية جزئية في كل من سيناء والجولان والضفة الغربية .

وواضح ان الرئيس السادات ، بهذا الاقتراح ، يرمي الى تطويق ما يمكن ان يحدثه القبول بالاتفاق الجزئي المقترح ، من ردود فعل على اكثر من صعيد .. فهو من جهة يبرر الخلاف مع الاتحاد السوفياتي حول مؤتمر جنيف الذي يصر السوفييت على عقده في اقرب وقت ممكن، في حين تلتقي وجهات النظر المصرية والاميركية والاسرائيلية حول « عدم جدوى » انعقاده ، ما لم تسبقه تحضيرات تلغي الاستقطاب الذي سوف يسيطر عليه .

ومن جهة اخرى ، يسعى الرئيس المصري ، الى تطويق مخاوف النظام السوري من احتمال ان يؤدي الاتفاق الجزئي على الجبهة المصرية الى تجميد الامور على الجبهة السورية ، وتعريض تلك الجبهة بالانفراد العسكري الاسرائيلي في ظل الضغوط السياسية والاقتصادية المختلفة . دون ان يكون قد بقي في ايدي الانظمة العربية اية ورقة يمكن ان تشكل ضغطا مقابلا .

وفي الحقيقة ان اقتراح الرئيس السادات المتمثل بنظرية « نزع الفتيل » في كاف لحل ازمة الاتفاق الجزئي الجديد الذي حمله كيسنجر في رحلته الاخيرة، فما هي ابعاد هذا الاتفاق والاغراض الاميركية المختبئة وراءه ؟

ان الوزير الاميركي يرمي من وراء هذا الاتفاق الى تحقيق عدة اغراض :

● الاول : هو توسيع « فك الارتباط » المصري الاسرائيلي ، بشكل تصبح معه مصر خارج دائرة احتمالات الحرب من الناحية العملية .. وبالتالي يتحقق هدر الجبهة العسكرية العربية وتبديد امكانية احتمال لتجديد الحرب العربية ، ويستكمل نزع القدرة العربية الضاغطة. اي يتحقق للوزير الاميركي وضع الانظمة العربية في موقف لا تملك فيه للحصول على اي شيء من التسوية ، غير توسل الولايات المتحدة بالتنازلات المطلوبة .

● الثاني: ان الوزير الاميركي يقدر تمام التقدير من حاجة النظامين المصري والسعودي الى تحقيق مزيد من الاتفاق ، حيث ان فشلهما في الوصول الى اتفاق اخر بعد مرور اكثر من سنة على « فك الارتباط » الاول ، سوف يشكل مازقا لدورهما السياسي المشترك في المنطقة ، الامر الذي يضع سياستهما كلها امام تفاعلات شديدة الخطورة على الساحة السياسة . ومن هنا يسعى الوزير الاميركي الى استغلال هذه الحاجة لديهما ، من اجل الحصول على ثمن ، يعتقد ان النظام السعودي قادر على دفعه .. وهو تشكيل « خرق » في جبهة « الاوبك » كمقدمة لعبور المخطط الاميركي الى الضفة الاخرى في معركة النفط .

ولذا فان كيسنجر عندما حمل مشروع الاتفاق الاول الى القاهرة ، حمل الى الرياض مشروعه الثاني المتمثل بالاتفاقات الانفرادية الطويلة الامد لشراء النفط بسعر مخفض .

وضمن هذا الربط بين الاتفاقين كانت رسالة الرئيس السادات الى الملك فيصل خلال جولة الوزير الاميركي ، تلك الرسالة التي حملها الى الرياض السيد اشرف مروان سكرتير الرئيس المعني للمعلومات . (وتتناول الرسالة امورا اخرى سوف تتضح فيما بعد) .

ثانيا : الرياض وخرق الاوبك :

لكن السعودية ، وهي من البلدان الرئيسية في منظمة « الاوبك » تعلم ان قيامها منفردة بالتصدي لمهمة « خرق » الجبهة النفطية ، سوف يلقى معارضة شديدة من البلدان الاخرى المشاركة في تلك المنظمة

لا سيما وان بعض تلك البلدان غير موافقة حتى على تجميد اسعار النفط الحالية ، فكيف اذا كانت هناك مساع لتخفيض تلك الاسعار . وقد كان الخلاف السعودي ـ الكويتي حول هذه المسالة قبل فترة قصيرة اشارة لمثل تلك المعارضة التي تتوقعها السعودية ..

وبناء على ذلك، كان امام الرياض اقتراح عرضته على كيسنجر ، بان الامور ستكون اسهل فيما لو شاركها النظام الايراني في خطة « الخرق » . وبناء على هذا الاقتراح عرج الوزير الاميركي ، في طريق عودته الى بلاده ، على سويسرا حيث اجتمع بشاه ايران وبحث معه الموضوع .. كما قام الرئيس السادات بتوجيه رسالة الى صديقه الحميم شاه ايران ، بعثها مع سكرتيره للمعلومات الى سويسرا.

ولا يمكن ان تتجلى نتائج هذه الاتصالات المهمة لاحق جهة « الاوبك » ، قبل انعقاد مؤتمر قمة البلدان المصدرة للنفط الذي سوف يعقد في الجزائر اوائل الشهر القادم . وهذا سبب رئيسي من اسباب تاجيل اعلان الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي الى جولة كيسنجر القادمة التي سوف تتم بعد انعقاد مؤتمر الجزائر المذكور .

ثالثا : موسكو .. جنيف فورا :

ان الوزير الاميركي ، في سعيه لتحقيق الاتفاقين المتزدين ، السياسي والنفطي ، لا يتغافل عن المعارضة السوفياتية لمثل هذه الخطة ، وما يمكن ان تثيره امامه من عقبات . ولذا ظهرت لديه في جولته الاخيرة استعدادات اكبر للمرونة تجاه الموقف السوفياتي . فبعد ان كان من اكثر الاطراف اصرارا على « دفش » مؤتمر جنيف الى ابعد مدى ممكن ، ابداء اكثر ليونة ، وقد ابدى استعدادا لقبول جنيف في فترة قريبة . وتفيد اوساط متعددة ، ان الوزير الاميركي قد وافق على عقد مؤتمر جنيف لاعلان اتفاق مصري ـ اسرائيلي فيه ، بدلا من اعلانه في مكان اخر كالطيبة (١٠١) .

لكن الوزير الاميركي يعلم ان السوفييت سوف يطرحون في اول جلسة جديدة لمؤتمر جنيف مسالة حضور قيادة منظمة التحرير ، وهو الامر الذي لا تقبل به الولايات المتحدة واسرائيل طالما ان منظمة التحرير لا تعترف باسرائيل . واستدراكا لذلك تقصد كيسنجر ان يصرح بعد اجتماعه مع وزير الخارجية السوفياتي في جنيف ، ان اميركا ليس لديها اي شيء تبحثه مع منظمة التحرير ، قبل ان تعترف تلك المنظمة باسرائيل . وكان هذا التصريح ايعازا لقوى كثيرة في المنطقة من اجل تشديد ضغوطها على قيادة المنظمة للوصول بها الى الموقف الذي يطلبه كيسنجر قبل ان تجري دعوتها الى جنيف .

وعليه يكون كيسنجر قد وضع في مواجهة الموقف السوفياتي المعادلة التالية :

— السوفييت يريدون جنيف في اقرب وقت .

— يوافق كيسنجر على ذلك ، لتكون مهمة جنيف اعلان الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي .

— السوفييت يريدون دعوة منظمة التحرير

— يشترط كيسنجر اعتراف المنظمة باسرائيل ، ويحرك الضغوط لتحقيق ذلك .

رابعا : المنظمة .. والضغوط الجديدة :

قلنا ان تصريح كيسنجر المذكور اعلاه كان ايعازا لتحريك المزيد من الضغوط على قيادة منظمة التحرير .. فما هي تلك الضغوط .

● اولا :

ضغط الاتفاق الجزئي الجديد بين مصر واسرائيل، باثاره على الجبهة العسكرية العربية ، واعطائه سيطرة مطلقة للولايات المتحدة على مسار التسوية اللاحق . وتركه منظمة التحرير ، مثلها مثل الانظمة العربية الاخرى ، عاجزة عن الحصول على اي شيء من التسوية، بغير توسل الولايات المتحدة بالتنازلات.

● ثانيا :

ضغط سعودي متجدد على قيادة منظمة التحرير لـ « تحرير » المنظمة من العناصر المعارضة للهيمنة السعودية على المنطقة . وقد لوحظت في الفترة الاخيرة تعارضات اساسية في مواقف الاطراف المختلفة داخل قيادة منظمة التحرير بين العناصر الموالية للمحور السعودي ـ المصري ، والعناصر المعارضة لذلك المحور .

● ثالثا :

جرى من جديد اشهار النظام الرجعي الاردني ، كاداة تهديد وضغط وابتزاز على قيادة المنظمة . فجرى الاعلان عن زيارة السادات للاردن بما يعنيه ذلك من دعم سياسي للنظام الاردني ، في الوقت الذي تقدمت فيه عمان بشروط جديدة للالتزام بمقررات الرباط . وفي مقدمة هذه الشروط :

اجراء تغيير في بنية منظمة التحرير بحيث تتمثل فيها ثلاثة اطراف هي : بعض المنظمة الحالية ، وممثلون عن الضفة الغربية، وممثلون عن الفلسطينيين المقيمين في الضفة الشرقية ، على ان يشارك النظام الاردني في اختيار اولئك الممثلين .

وقد بلغت هذه الضغوط درجة اصبحت معها قيادة منظمة التحرير تدعو لعقد اللقاء الرباعي الذي طالما كانت هي المدعوة اليه ، دون ان تلقى دعوتها اي قبول عند الاطراف الاخرى !!

ولا شك ان كل هذه الضغوط المكثفة ، تهدف الى اشعار قيادة منظمة التحرير بضرورة تقديم التنازلات التي يطلبها كيسنجر لتصبح مؤهلة لدخول « جنة » جنيف !!

خامسا : دمشق .. وهاجس الاستفراد :

ان النظام السوري ، وان كان ملتزما بخط التسوية ، وبالتحالف مع النظام المصري داخل ذلك الخط ، فانه يبقى عرضة لضغوط تمليها عليه ظروف موضوعية لا يمكن تجاهلها ومنها :

● التراث الوطني لنضالات الجماهير السورية ، وبالذات ارتباط تلك النضالات بالقضية الفلسطينية . وبالعداء للامبريالية الاميركية .

● تركيب الجيش السوري الذي نشا وترعرع بالترابط مع الصراع المسلح ضد اسرائيل .

● وجود حزب حاكم يرفع شعارات البعث القومية والوطنية ، في الوقت الذي يتخذ فيه حزب البعث في العراق وفي غيره من الاقطار العربية موقفا رافضا للتسوية .

● تشبث اسرائيل بالجولان اكثر من اية اراضي اخرى احتلت عام ١٩٦٧ .

● التناقضات غير المحسومة داخل اجهزة السلطة السورية . والعلاقات غير المضمونة حتى الان مع الاتحاد السوفياتي .

ان هذه العوامل تشكل ضوابط على النظام السوري في سياق التسوية وتعيقه عن الحركة في ذلك السياق ، بنفس الصورة التي يتحرك بها النظام المصري .

يضاف الى ذلك ان النظام السوري لا يملك حتى الان اي ضمان اكيد بالانسحاب الاسرائيلي من الجولان اذا ما جرى توسيع « فك الارتباط » على الجبهة المصرية .

وقد عبر وزير الاعلام السوري عن هذا الموقف في حديث لصحيفة « لوموند » الفرنسية ، خلال زيارة كيسنجر الاخيرة ..

وهدد بان سوريا والمقاومة ستضطران الى فك تحالفهما مع مصر اذا ما نفذت الاتفاق المنفرد ، وتتطلعان نحو تحسين علاقاتهما مع بغداد .

ويبدو ان وعود كيسنجر واقتراحات السادات ، لم تستطع ان تبدد هذه المخاوف السورية . فكان التحرك السعودي ، الذي تمثل برسالة الملك فيصل للرئيس الاسد ابان زيارة كيسنجر لدمشق .. ثم بزيارة عبد الحليم خدام للسعودية وغيرها من دول الخليج .

وليس واضحا حتى الان ، هل ادى التحرك السعودي لتبديد مخاوف دمشق ، ام ان ذلك يتطلب « دعما » اكبر من مراكز « التضامن العربي » .. ومهما يلفت النظر في هذا المجال ، هو ان تصريح وزير الاعلام السوري لصحيفة « لوموند » قد اتخذ طابع التهديد الكلامي ، في حين ان التهديد الجدي،